المحاضرة الأولى

الأدب الرومانى

د/ طه محمد زكى

مقدمة:

تعود شهرة أبوليوس[i] (Apuleius) (١٢٣- ١٨٠م) فى الأدب العالمى إلى مؤلفه الذى يحمل عنوان التناسخات أو التحولات[ii](Metamorphoses) وإن ذاع صيت العنوان الآخر لنفس العمل وهو "الحمار الذهبى"[iii] (Asinus Aureus)، تلك القصة اللاتينية الوحيدة التى وصلت إلينا كاملة. وتتمتع هذه القصة بقدرة فائقة على الخيال والسخرية والإثارة والمتعة.[iv] أما بالنسبة لموقف القراء من الروايات التى تتناول تحولات البشر فقد ذكر لنا بلينيوس الأكبر (Plinius) (٢٣- ٧٩م) أنهم لم يأخذونها مأخذ الجد.[v]

homines in lupos verti rursusque restitui sibi falsum esse confidenter existimare debemus. [vi]

"يجب أن نحكم عليها بشكل واثق إنها (حكايات) زائفة تلك التى (تسمح) للرجال أن يتحولوا إلى ذئاب ثم يعودوا إلى شكلهم الأصلى بعد ذلك".

وفيما يتعلق بأعماله الأدبية الأخرى يدّعى أبوليوس أنه كتب فى شتى المجالات (omnigenus): ملاحم (epos)، وشعر غنائى (lyrae)، وكوميديا (soccus)،[vii] وتراجيديا (coturnus)،[viii] وهجاء (satirae)، وألغاز (griphi)، وتاريخ (historiae)، وخطب (orationes)، ومحاورات فلسفية (dialogi philosophi)، وموضوعات آخرى (alia) بكلتى اللغتين اليونانية (Graece) واللاتينية (Latine).[ix]

أما بالنسبة للرواية فقد قدم كوينتليانوس (Quintilianus) (٣٠/ ٣٥- ١٠٠م) تعريفاً لها بأنها عرض لأحداث الماضى الفعلية (res gestae) أو المفترضة (res ut gestae).[x] وفيما يتعلق بأحداث الرواية فقد قام شيشرون (Cicero) (١٠٥- ٤٣ ق.م) بتقسيمها إلى ثلاثة أركان: "التاريخ" (historia) الذى يتناول حقائق من الماضى، مثل إعلان أبيوس[xi] (Appius) الحرب على القرطاجيين (Carthaginienses)، وكان "البرهان" (argumentum) هو الركن الثانى من تقسيم شيشرون، وهو عبارة عن قصة محتملة لأحداث ربما تكون قد حدثت بالفعل فى الماضى، مثل القطع التفسيرية فى الكوميديا وفن الميموس، أما الركن الثالث والأخير فيتمثل فى "القصة" (fabula) وتطلق على القصة غير محتملة الحدوث، ولا يمكن تصديقها لأنها تشتمل على أحداث ليست حقيقية (nec verae res continentur) ولا تشبه الحقيقة (nec veri similes)،[xii] وهو ما ينطبق على الرواية التى بين أيدينا.

"يُسمى البرولوجوس بإيجاز من (العبارة):

"ما يُقال أولاً، وليس ما يُقال أولاً" من حيث الطول".

وتكمن وظيفة البرولوجوس فى تقديم بعض التفاصيل التى تهدف إلى إمداد القارئ بخلفية لما تشتمل عليه الرواية من أحداث، وقد يتضمن البرولوجوس أسلوب الرواية ولغتها، وقد يتناول أيضاً حبكة الرواية على لسان الراوى، كما يشتمل البرولوجوس على الأماكن التى شهدت أحداث الرواية وتحديد هوية الراوى، وهو ما ينطبق على برولوجوس الدراسة التى بين أيدينا. ويهتم هذا البحث بدراسة تحليلية لبرولوجوس رواية التحولات لأبوليوس من خلال ثمانية محاور: أسلوب الرواية، وصورة مصر، وحبكة الرواية، وهوية الراوى، ومواقع أحداث الرواية، ولغة الرواية، واعتذار الراوى، وخاتمة البرولوجوس.

([i]) ولد أبوليوس فى ماداوروس (Madaurus) بأفريقيا (Africa) حوالى عام ١٢٣م لأبوين من الأثرياء، وتعلم فى قرطاجة بداية ثم اكمل تعليمه فى أثينا (Athenae) وروما (Roma) وقام برحلات عديدة. ثم عاد إلى أفريقيا وشرع يزور مصر فمرض فى أويا (Oea) (= طرابلس بليبيا) عام ١٥٥م. وقد حقق أبوليوس شهرة واسعة بوصفه شاعراً وفيلسوفاً وخطيباً فى قرطاجة عام ١٦١م. وشغل منصب الكاهن الأول بالولاية، وسار على طريق السفسطائيين الجدد وتبنى أسلوبهم الخطابى. وبلغ من حب الناس له أن أقاموا تكريماً له تمثالين الأول فى قرطاجة والثانى فى ماداوروس (وقد وصلتنا قاعدته). وأنجب أبوليوس ولداً سماه فاوستينوس (Faustinus). ومن أعمال أبوليوس خطبة "الدفاع" وقد كتبها ليدافع عن نفسه بشأن تهمة السحر Apologia (pro se de magia) وهى من أروع الخطب اللاتينية لأن صاحبها لم يهدف إلى مجرد تبرئة نفسه من التهمة بل لإظهار خصومه على حقيقتهم من وتعرية موقفهم المخزى. ومن ثم كشف أبوليوس كل قواه الخطابية وإحتشدت فى هذه الخطبة كل إمكاناته الأسلوبية. ولأبوليوس عمل آخر يمكن تسميته "الأزهار" (Florida) وهو عبارة عن مقتطفات أو "مختارات" من خطب مدرسية عن موضوعات مختلفة نذكر منها الفقرة التى يصف فيها أبوليوس موت شاعر الكوميديا الحديثة فيليمون (Philemon) وتؤرخ هذه الخطب فيما بين ١٦٠ و١٧٠م. وألقى أبوليوس خطبة متوهجة بعنوان "عن إله سقراط" (De Deo Socratis) يتحدث فيها عن القوة الإلهية (daimonius) الملهمة لهذا الفيلسوف. وترجم أبوليوس فقرات من مسرحية مناندروس بعنوان "الصبور" (Anechomenos) . وبصفة عامة كان أبوليوس يحب أن يطلق على نفسه لقب "الفيلسوف الأفلاطونى" (Philosophicus Platonicus) وكان هو أول من بشر بالأفلاطونية الجديدة.
أحمد عثمان: الأدب اللاتينى ودوره الحضارى فى العصر الفضى، أيجيبتوس، القاهرة ١٩٩٠، ص ص ٢٥١- ٢٥٤.

([ii]) بالنسبة للنماذج الأدبية الأخرى للتحولات نذكر عمل أوفيديوس (Ovidius) (٤٣ ق.م- ١٧م) الأشهر الذى يحمل عنوان "التحولات أو التناسخات"، وما قدمه مارتيانوس كابيللا (Martianus Capella) (القرن الخامس الميلادى) حيث تناول تحول دافنى (Daphne) إلى شجرة. كما أشار العديد من الكتاب الإغريق والرومان إلى بعض نماذج التحولات التى وردت عند هوميروس، نذكر منها بعض الشواهد مثل:
Juvenal (15.13- 26), Strabo (1.2.11), Longinus (9.14), and Lucian (Vera Historia 1.3): Anton Bitel, "Fictiion and History in Apuleius' Milesian Prologue", in A Companion to the Prologue of Apuleius' Metamorphoses, Edited by Ahuvia Kahane and Andrew Laird, Oxford University Press 2005, p. 139.

([iii]) فضّل القديس أوغسطينوس (Augustinus) (٣٤٥- ٤٣٠ م) إطلاق اسم "الحمار الذهبى" على رواية "التحولات"، تلك التي عُرفت فى النقوش تحت عنوان (περὶ μεταμορφώσεων) على نفس نمط عنوان هجائيات فارو المينبية.

Cf. (Augustinus, De Civitate Dei 18.8): Winkler, J.J. (1985), Auctor and Actor: A Narratological Reading of Apuleius' s The Golden Ass (Berkeley and Los Angeles), p. 292.

([iv]) تحكى رواية التحولات مغامرات شاب يُدعى لوكيوس أصابه الفضول لمعرفة أسرار الفن الأسود أى السحر. فإنتهى به الأمر إلى التورط فى عمليات السحر فتحول إلى حمار. وفى هذه الهيئة التنكرية الجديدة تحمل الكثير ورأى وسمع أشياءً تفوق الخيال فى الغرابة. وأخيراً أعادته الربة إيزيس إلى هيئته البشرية. وإذ كانت البداية تقدم لوكيوس على أنه إغريقى فإننا فى نهاية القصة نكتشف أنه رجل فقير من ماداوروس. أما عن انخراط البطل فى عبادة الأسرار الخاصة بإيزيس (Isis) وأوزبريس (Osiris) فمن المحتمل أنها تعكس تجربة شخصية لأبوليوس نفسه. وجدير بالذكر أن قصة أبوليوس "الحمار الذهبى" ضمت أحداثاً إكتسبت شهرة وخلوداً مثل قصة كيوبيد (Cupid) إله الحب وبسيخى (Psyche) (= الروح) التى وردت فى الكتب من الرابع إلى السادس.

([v]) Anton Bitel, op. cit., p. 139.

([vi]) Plinius, (NH 8.80): ibid., p. 139..

([vii]) استخدم أبوليوس كلمة (soccus) التى تعنى "الحذاء الذى كان يرتديه الممثلون فى الكوميديا" للإشارة إلى الكوميديا بشكل عام.

([viii]) وهنا استخدم أبوليوس كلمة (coturnus) التى تعنى "حذاء عالى المقام" للإشارة إلى الترجيديا، ذلك الحذاء الذى كان يرتديه الممثلون فى التراجيديا.

([ix]) (Apul. Florida 9.27-29): Anton Bitel, op. cit., , p.137.

([x]) (Quint. Inst. 4.2.3): Meijering, R (1987), Literary and Rhetorical Theories in Greek Scholia (Groningen), p.756.

([xi]) شارك أبيوس كلاوديوس القائد والقنصل الرومانى فى الحرب البونية الثانية، وتولى قيادة أحد الفرق العسكرية الرومانية فى كانای، وقاد مع سكيبيو الأفريقى الجنود الذين استطاعوا النجاة من المعركة إلى كانوسيوم، وفى عام ٢١٥ ق.م قاد هؤلاء الجنود إلى صقلية لإجبار هيرونيميوس ملك سيراقوزة على إنهاء التحالف مع القرطاجيين، إلا أن محاولته باءت بالفشل.

([xii]) (Cicero, De Inventione 1.27): Anton Bitel, op.cit., p. 140.